

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٥/٧/١١

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

كان مفتاح الكعبة كما ذكرت في الخطبة الماضية بجوزة عثمان بن طلحة قبل فتح مكة. فلما فتحت مكة طلب علي عليه السلام أن يعهد إليه شرف السقاية وشرف حمل المفتاح، لكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند خروجه من الكعبة دعا عثمان بن طلحة وأعاد إليه المفتاح قائلاً: "اليوم يوم برّ ووفاء"، وكان عثمان بن طلحة قد أسلم وقتها. وتفصيل هذا الأمر هو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الهجرة كان قد طلب من عثمان بن طلحة مفتاح الكعبة مرة، فرد عليه بكلام سيء واستخدم لغة بذيئة. فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم متحلياً بالصبر: يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث أشاء، فقال عثمان: لقد هلكت قريش يومئذ وذلت. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: بل عمرت وعزت يومئذ. كان صلى الله عليه وآله وسلم يتذكر في ذلك الوقت كل هذا الإيذاء الذي تعرض له، لكنه رغم ذلك أظهر الرحمة والشفقة تجاه هؤلاء الناس.

وهناك رواية أخرى عن عثمان بن طلحة قال كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يومي الاثنين والخميس فأقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فأغلظت له ونلت منه، فحلم عني، ثم قال: يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت.

لا بد أن عثمان كان يتذكر هذه الأمور كلها ذلك اليوم، كما لم ينس النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك اليوم الذي تحدث عنه عثمان. لكنه صلى الله عليه وآله وسلم قال له رغم كل ذلك: يا عثمان، احتفظ بمفتاحك، فاليوم يوم برّ ووفاء. فخذ هذا المفتاح إلى الأبد، فلا ينتزعه منك إلا ظالم.

وسيبقى الآن في عائلتك. وهكذا، لا يزال مفتاح الكعبة ينتقل جيلاً بعد جيل في هذه العائلة. روي أنه لما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه - وهو مشرك - فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً بعد الظهر، وأسند ظهره إلى الكعبة.

وفي رواية: أنه ﷺ ركب راحلته فحمد الله وأثنى عليه، وقال: "أيها الناس إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض ويوم خلق الشمس والقمر، ووضع هذين الجبلين (أي الصفا والمروة)، ولم يجرمها الناس بل حرمها الله، فهي حرام إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ولا يعضد فيها شجراً، لم تحل لأحد كان قبلي، ولن تحل لأحد يكون بعدي، ولم تحل لي إلا هذه الساعة، ألا قد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم إن رسول الله ﷺ قد قاتل فيها فقولوا له: إن الله تعالى قد أحلها لرسول الله ﷺ ولم يحلها لكم. أيها الناس، إن أعدى الناس على الله من قتل في الحرم، أو قتل غير قاتله، أو قتل بثأر الجاهلية. يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل لئن قتلتم قتيلاً لأدينه، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين إن شاءوا فديته كاملة، وإن شاءوا فقتله. ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذي قتله خزاعة. في نفس هذا اليوم ظهرت مكيدة فضالة بن عمير لقتل النبي ﷺ، وورد في تفصيلها أن العديد من الأشخاص يوم فتح مكة كانوا يعانون من الاضطراب الداخلي والثورة والهيجان، لكنهم كانوا عاجزين عن فعل شيء. ولهذا السبب، قام بعض الشباب الجريئين في مكة، مثل عكرمة وغيره، بتشكيل كتبية ووقفوا في مكان واحد وقاموا بالمقاومة مسلحين. ومن بين أولئك كان فضالة بن عمير. يقول بنفسه: عندما كان رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة، انضمت إلى الحشد وفكرت أنه بمجرد اقترابي من رسول الله ﷺ، سأطعنه خلسة بخنجر ليأقتله والعياذ بالله.

فتبع النبي ﷺ بهذه النية، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ: "أفضالة؟" قال: نعم.

قال ﷺ: "ماذا كنت تحدث به نفسك؟" قال: لا شيء، كنت أذكر الله، (وكان يكذب في قوله هذا) فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: "استغفر الله". (أي إنك لا تفعل بما تقول)، دنا منه النبي ﷺ ثم وضع يده على صدره، وكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق شيء أحب إليّ منه، ورجع فضالة إلى أهله. كان فضالة قد ذهب بهذه النية، إلا أن حالته انقلبت رأساً على عقب. ورد ذكر إسلام والد أبي بكر أيضاً في هذه الأيام.

لم يؤمن والد سيدنا أبي بكر ﷺ حتى فتح مكة، وكان في ذلك الوقت قد أصيب بالعمى.

فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد، خرج أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: "هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه؟" فقال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه، فأجلسه بين يدي رسول الله ﷺ فمسح رسول الله ﷺ صدره، وقال: "أسلم تسلم"، فأسلم. ثم ورد ذكر تناول النبي ﷺ الطعام في بيت أم هانئ.

عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لأم هانئ يوم الفتح: "هل عندك من طعام نأكله؟" قالت: ليس عندي إلا كسر يابسة، وإني لأستحي أن أقدمها إليك.

فقال: "هلمِّي بهن" فكسرنهن في ماء، وجاءت بملح، فقال: "هل من آدم"؟ فقالت: ما عندي يا رسول الله إلا شئ من خل، فقال: "هلمِّي"، فصبه على الطعام وأكل منه ثم حمد الله ثم قال: "نعم الأدم الخلل، يا أم هانئ لا يفقر بيت فيه خل".

هذه قمة الشكر لله تعالى، وقد أسعد ﷺ أم هانئ أيضا. هكذا كان حال فاتح مكة، فعلى الرغم من أن كل شيء من كل بيت كان متاحاً له، إلا أنه في ذلك الوقت اكتفى بتلك القطع الصغيرة من الخبز اليابس. عندما وصل النبي ﷺ إلى مكة، وكان ينظر إلى كل شيء، بعين المحبة ولاسيما الكعبة، الأمر الذي أوقع في قلوب الأنصار خوفاً من أن يستقر ﷺ هناك ولا يعود.

هناك مثل مشهور: "العشق وألف وسواس"، أي أن المحبة تكون مصحوبة بألف شك ووسواس. يكون المحب دائم القلق بشأن محبوبه. لقد شوهدت عند فتح مكة مشاهد كثيرة من العشق والمحبة والبر والوفاء. ومن بينها مشهد ظهر من جانب أنصار المدينة وكان يفيض بالمحبة والبراءة والمتعة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ مَكَّةَ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحَجَرِ فَاسْتَلَمَهُ (أَي قَبْلَهُ) ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ ثُمَّ أَتَى الصِّفَا فَعَلَاهُ حَيْثُ يَنْظَرُ إِلَى الْبَيْتِ فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَذْكُرُ اللَّهَ مَا شَاءَ أَنْ يَذْكُرَهُ وَيَدْعُوهُ قَالَ: وَالْأَنْصَارُ تَحْتَهُ، فَدَعَا وَحَمِدَ اللَّهَ وَدَعَا بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُو.

عند رؤية انشغالات النبي ﷺ وحسن معاملته المذهلة مع أهل مكة، غرق الأنصار في تفكيرهم، وبدأوا يقولون لبعضهم البعض: لقد أخذته ﷺ رافة بعشيرته ورغبة في قرينته، ولعله يستقر هنا في قرينته وبين عشيرته وأقربائه، فأخذهم الحزن مأخذه لما فكروا في فراق النبي ﷺ عنهم.

يقول أبو هريرة: في هذه الحالة نزل الوحي على رسول الله ﷺ، وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا فإذا جاء فليس أحد يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى ينقضي الوحي،

فلما انقضى الوحي قال رسول الله ﷺ يا معشر الأنصار، قالوا لبيك يا رسول الله، قال ﷺ إنكم تفكرون أن هذا الرجل قد غلبه حب وطنه، قالوا قد كان ذاك يا رسول الله، فقال ﷺ: "فما اسمي إذا؟ أنا محمد عبد الله ورسوله، هاجرت إليكم لله والآن أحيا وأموت معكم"، فتقدموا إليه باكين فاقدن السيطرة على أنفسهم وقالوا، والله ما قلنا إلا حبا لله ورسوله وخوفا من فراقك، فقال فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم.

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ سردا لهذا الحدث:

عندما كان الرسول الكريم ﷺ مشغولاً في أداء مناسك زيارة الكعبة، ويتعامل مع قومه برحمة ومغفرة، كانت قلوب الأنصار غارقة في الهموم، وكانوا يتهامسون فيما بينهم، قائلين: "لعلنا اليوم نفارق رسول الله، فقد فتح الله مدينته على يديه، وآمنت به قبيلته." في تلك اللحظة، أوحى الله تعالى إلى محمد رسول الله ﷺ بما يدور في نفوس الأنصار من شكوك. فرفع رأسه، ونظر إلى الأنصار وقال: "يا معشر الأنصار!

هل تظنون أن محمداً رسول الله ﷺ تشتاق نفسه إلى مدينته، وأن حب قومه يداعب قلبه؟" فقال الأنصار: "يا رسول الله، هذا صحيح، قد خطر ببالنا مثل هذا الظن." فقال ﷺ: "هل تعلمون من أنا؟ أنا عبد الله ورسوله، كيف يمكن أن أترككم، أنتم الذين ضحيتم بأرواحكم في عصر ضعف الإسلام، وأنتقل إلى مكان آخر؟" ثم قال: "يا أنصار! لن يحدث ذلك أبداً، أنا عبد الله ورسوله. لقد هجرت وطني من أجل الله، والآن لا يمكنني العودة إليه. إن حياتي مرتبطة بحياتكم، وموتي مرتبط بموتكم." فبعد ملاحظة حب النبي ﷺ ووفائه تقدم أهل المدينة لسماعهم هذه الكلمات باكين، قائلين: "يا رسول الله، والله لقد ظننا بالله ورسوله ظن السوء. والحق أن قلوبنا لا تطيق فكرة أن يتركنا رسول الله ومدينتنا ليذهب إلى مكان آخر." فقال ﷺ: "إن الله ورسوله يبرئانكم ويصدقان إخلاصكم." وبينما كانت هذه المحادثات المليئة بالمحبة والوفاء تدور بين محمد رسول الله ﷺ وأهل المدينة، وإن لم تدمع لها أعين أهل مكة، فمن المؤكد أن قلوبهم كانت تذرف الدموع على أن الله ﷻ كان قد وهب لهم لؤلؤة قيمة لم يُخلق مثلها شيء في العالم لكنهم أخرجوها من بيوتهم ورموها، والآن قد دخل مكة بفضل الله ونصره، وها هو يودع مكة عائداً إلى المدينة بمحض إرادته واختياره عن رغبته ورضاه إيفاء بعهده.

عن ابن عباس قال إن أبا سفيان رأى رسول الله ﷺ يمشي والناس يتبعونه، فقال بينه وبين نفسه: ليتني تمكنت من قتاله وجمع الجيش ضده، فجاء إليه رسول الله ﷺ وضرب بيده على صدره فقال: "إذن يجزيك الله" أي كنت تفكر أن تقاتلني، فلو فعلت ذلك لواجهت الخزي. فقال: أتوب إلى الله وأستغفره مما تفوهت به، فقد أيقنت أنك نبي صادق من الله. إذ كان قد خطر ذلك ببالي فقط ولم أبح به لأحد، لكنك أخبرتني بذلك. لما حانت صلاة الظهر أمر ﷺ بلالا أن يؤذن، فصعد على سطح الكعبة فأذن.

وقد روي أن النبي ﷺ قد صلى ذلك اليوم كل الصلوات بوضوء واحد، وكان من عادته ﷺ أن يجدد الوضوء قبل كل صلاة، فلما رآه الصحابة يصلي بوضوء واحد قال له عمر ﷺ: إِنَّكَ فَعَلْتَ الْيَوْمَ شَيْئاً لَمْ تَفْعَلْهُ مِنْ قَبْلُ، فقال رسول الله ﷺ، يا عمر قد فعلته عمداً.

قد استدل العلماء من هذا أن النبي ﷺ قد ترك هذه الأسوة تسهياً عند الاضطرار.

في هذا اليوم أخذ النبي ﷺ البيعة أيضاً، فقد ورد عن تفصيل ذلك: عن الأسود بن خلف ﷺ أنه رأى رسول الله ﷺ يبايع الناس يوم الفتح. قال: جلس ﷺ عند قرن مسفلة، فبايع الناس على الإسلام فجاءه الكبار والصغار، والرجال والنساء، فبايعوه على الإيمان بالله ﷻ وشهادته أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

وقال ابن جرير الطبري: اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام، فجلس ﷺ على الصفا، وعمر بن الخطاب أسفل مجلس رسول الله ﷺ فأخذ البيعة من الناس على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة، امرأة أبي سفيان منتقبة

متنكرة خوفا من رسول الله ﷺ أن يسألها عن صنيعها بسيدنا حمزة، فخافت أن يبطش بها على ذلك. فلما دنون من رسول الله ﷺ قال: "بايعني على ألا تشرك بالله شيئا ولا تسرقن" فرفعت هند رأسها وقالت: والله إني كنت أصبت من مال أبي سفيان الهنة، ولا أدري أكان ذلك حلالا أم حراما؟ وكان أبو سفيان يسمع ذلك هناك، فقال أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل، عفا الله عنك. فعرفها النبي ﷺ فسألها: "أنت هند بنت عتبة؟" قالت نعم، عفوا عن ما سلف، أي أرجو العفو عن ما تصرفتُ ضد نفسك المباركة والإسلام فيما سبق. ثم قال ﷺ: "ولا تزنين" فقالت: يا رسول الله: أو تزني الحرة؟! ثم قال: "ولا تقتلن أولادكن" قالت: قد ربناهم صغارا وحين كبروا قتلتهم في بدر، فأنت وهم أعلم. فضحك رسول الله ﷺ وعمر، ثم قال: "ولا تأتين ببهتان تفتريه بين أيديكن وأرجلكن" فقالت: والله إن إتيان البهتان لقيح وإن بعض الذنوب أقبح منه. ثم قال: "ولا تعصيني في معروف."

وفي رواية أن هنداً أدركت أنها كانت على الضلال فقالت لزوجها: إني أريد أن أبايع محمداً، فقال باستغراب: قد رأيتك تكفرين إلى اليوم فكيف حصل هذا التغير اليوم فجأة؟ قالت: أي والله قد رأيت المسلمين يوم الفتح يعبدون الله مع محمد ﷺ، فقد رأيتهم يعبدون الله طول الليل، حيث بعضهم كانوا راكعين وبعضهم ساجدين، فما رأيت أحدا يعبد مثلهم قبل اليوم.

فقال لها أبو سفيان، اذهبي برفقة رجل من قومك، أي إذا كنت تريدين المثول أمام النبي ﷺ فاصطحي رجلا من قومك، فذهبتُ إلى سيدنا عمر فجاءت معه إلى النبي ﷺ فذكر له إسلامها. بعد أن أسلمت رجعت إلى بيتها فحطمت صنما فيه، فمزقته كل ممزق وقالت لقد بقينا في غرور بسبيك أنت.

وفي رواية أن هنداً جاءت النبي ﷺ بعد إسلامها، وقالت: الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه، يا رسول الله، هل لي نصيب من رحمتك؟

فأنا امرأة مؤمنة بالله، مصدقة به، فقال رسول الله ﷺ: "مرحبا بك"، فقالت يا رسول الله: ما كان على ظهر الأرض أهل خباءٍ (أي أهل بيت) أريد أن يذلّوا أكثر من أهل خبائك، أما اليوم فلا أرى على ظهر الأرض أهل خباءٍ أحب إلي من أن يعزّوا من أهل خبائك.

لما أسلمت حضرة هند، أرسلت إلى النبي ﷺ بجديين مرضوفين بيد جارية لها تعبيرا عن حبها وإخلاصها له ﷺ، فجاءت النبي ﷺ فقالت: إن مولاتي أرسلت إليك هذا اللحم المشوي هديةً، وهي تعتذر وتقول: إن غنمنا اليوم قليلة الولد، لذا أرسل اثنين فقط، فقال رسول الله ﷺ: "بارك الله لك في غنمك وأكثر أولادها". وكانت تلك الجارية تقول: لقد رأيت من كثرة الغنم وأولادها ما لم أرها من قبل، تقول حضرة هند: هذا ببركة دعاء رسول الله ﷺ.

يقول حضرة المصلح الموعود وهو يسرد قصة بيعة هند زوجة أبي سفيان: إنها تلك المرأة التي مثلت

بجمزة ﷺ، فارتأى النبي ﷺ معاقبتها على فعلتها هذه الوحشية البشعة والمنافية للإنسانية. كانت أحكام الحجاب قد نزلت قبل هذه الواقعة، فجاءت النساء للبيعة، وجاءت معهن هند منقبةً وبايعت. وعندما بلغت عند كلمة: "ألا نشارك بالله شيئاً"، لم تتمالك نفسها إذ كانت حادة الطبع فقالت: هل نشارك بالله بعد هذا يا رسول الله؟ كنتَ وحيداً وعارضناك بكل ما أوتينا من قوة وقدرة، ولو كانت آلهتنا حقّةً لما نبحت، ولكنها فشلت تماماً، واهزمتنا. فقال رسول الله ﷺ: "أأنتِ هند؟" كان ﷺ يعرفها بنبرة صوتها إذ كانت قريبة له. قالت: نعم، يا رسول الله، ولكني قد أسلمت الآن، فلا خيار لك بقتلي. فضحك رسول الله ﷺ وقال: "نعم، يستحيل مؤاخذتك اليوم".

باختصار، إن القوم الذين اعتقدوا أن رسول الله ﷺ كأنما فرم الآلهة وجعلها إلهاً واحداً قد تغيروا تماماً حتى قالت امرأة مثل هند: هل يمكن لأحد أن يرفض وحدانية الله تعالى.

ومن الوقائع التي وقعت أيام البيعة أنه أتى النبي ﷺ رجلٌ فجعل ترتعدُ فرائضه من هيبة وجلال النبي ﷺ، فقال ﷺ تواضعاً وانكساراً: "هُونْ عَلَيْكَ وَلَا تَخَفْ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ" (أي اللحم المجفف).

أما المجرمون الذين صدر الحكم بقتلهم عند الفتح فأذكر الآن مفصلاً ما ورد بشأنهم. مع العلم أن هناك تحفظات بشأن قتلهم عند البعض، بل هذا ما تؤكد الأحداث أيضاً، لأن أسباب قتلهم التي تذكر تنافي عمل النبي ﷺ وطبعه منافاةً بينةً. على أية حال، أذكر أولاً من هؤلاء، وماذا ورد عنهم في التاريخ، ثم أقوم بتفنيدهم بعض ما ورد.

ذكر ابن إسحاق أن الذين أمر النبي ﷺ بسبب جرائمهم بقتلهم حيثما وجدوا كانوا ثمانية رجال وست نساء. وورد في السيرة الحلبية أنهم كانوا أحد عشر شخصاً. وقال الواقدي: كانوا عشرة أشخاص، ستة رجال وأربع نساء. وذكر صاحب "فتح الباري" شرح البخاري أسماء هؤلاء الأربعة عشر شخصاً بمن فيهم عبد العزى بن خطل، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعكرمة بن أبي جهل، ومقيس بن صباب، وهبار بن الأسود وغيرهم.

وجاء في حديث أنه لما كان يوم فتح مكة آمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين، وقال اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة: عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن خطل ومقيس بن صباب وعبد الله بن سعد بن أبي سرح.

وفي رواية: آمن رسول الله ﷺ الناس يوم فتح مكة إلا أربعة وهم: عبد العزى بن خطل، ومقيس بن صباب، وعبد الله بن أبي سرح، وأم سارة.

وكتب أحد كتاب السير: قد عفا النبي ﷺ عن معظم الذين أبيع قتلهم، ولم يقتل منهم سوى عدد قليل فقط، وقد قتلوا قبل صدور العفو العام من قبل النبي ﷺ.

أما حضرة المصلح الموعود فقد أبدى رأيه في هذه القضية كالاتي: هناك فقط أحد عشر رجلاً وأربع نساء ثبتت عليهم جرائم القتل الشنيع وغيث الفساد، فكانوا بمثابة مجرمي حرب، وكان حكم رسول الله ﷺ فيهم أن يُقتلوا، لأنهم لم يكونوا مجرمين بسبب الكفر أو القتال فحسب، بل كانوا مجرمي حرب. ومع ذلك فقد عفا النبي ﷺ عن معظمهم بشفاعة المسلمين. فثبت من هنا أن أكثر هؤلاء قد خلّوا سبيلهم.

يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام: "إن خاتم الأنبياء ﷺ غفر لأهل مكة وغيرهم رغم انتصاره الساحق عليهم ورغم كونهم تحت سيفه تماما، ولم يعاقب إلا بضعة منهم ممن نزل الحكم القاطع من حضرة الأحديّة بمعاقتهم، أي كان الله تعالى قد أمر بقتلهم صراحة. إذن قد غفر ﷺ لكل عدو ذنبه ما عدا هؤلاء الملعونين الأزليين".

وقد ورد في كتب التاريخ أسباب قتل هؤلاء المقتولين. أذكر هذه الأسباب وإن كانت غير مقنعة. أول اسم ورد بهذا الشأن هو عبد العزى ابن خطل. كان قد أسلم، وسماه رسول الله ﷺ عبد الله، وهاجر إلى المدينة، وبعثه رسول الله ﷺ جايياً للزكاة، وأرسل معه رجلا من خزاعة كان يصنع له طعامه ويخدمه. فترلا في مكان يجتمع فيه الناس لدفع زكاتهم. فأمره ابن خطل عند الظهيرة أن يصنع له طعاما، ونام ابن خطل. فلما استيقظ وجد الخزاعي نائما، ولم يصنع له شيئا. فاعتدى عليه ابن خطل فضربه بسيفه فقتله، وارتد عن الاسلام، وهرب إلى مكة. وكان يقول الشعر يهجو به رسول الله ﷺ.

وعن أنس رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر، فلما نزع جاءه رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال رسول الله ﷺ: اقتلوه.

والشخص الثاني هو مقيس بن صبابه. لقد أسلم بنية قتل صحابي من الأنصار. كان هذا الصحابي الأنصاري قد قتل أخا مقيس في إحدى الغزوات خطأ ظناً منه أنه عدو. فأخذ مقيس دية أخيه، وقتل هذا الصحابي الأنصاري أيضاً، ثم ارتد عن الإسلام وعاد إلى مكة. قتله نائلة بن عبد الله يوم فتح مكة. والثالث هو حويرث بن نقيذ. أهدر النبي ﷺ دمه. ورد أنه كان يؤذي رسول الله ﷺ قتله علي رضي الله عنه. وكتب أحد أصحاب السير أن السبب الذي يذكر لقتل حويرث بن نقيذ أنه كان يؤذي رسول الله ﷺ لكن الواقع أن سبب قتله غير ذلك، لأن النبي ﷺ يكن ينتقم لنفسه.

ثم الحويرث بن طلائل الخزاعي. كان يؤذي رسول الله ﷺ ويهجوّه. ضرب علي رضي الله عنه. ثم هناك قينة لابن خطل، اسمها قرينة، وكانت تسمى أربنا أيضا. كانت تغني بأبيات فيها هجو النبي ﷺ. فقتلت. وعدد هؤلاء الذين قتلوا يوم فتح مكة يبلغ حوالي ١٤ أو ١٥. لكن يتبين عند تحري الأمر أن هذا العدد غير صحيح، لأن الجرائم التي تذكر لقتلهم تكشف بنفسها أن المؤرخين قد أخطأوا. فمعظم جرائمهم المذكورة أنهم ارتدوا، أو كانوا يؤذون رسول الله ﷺ أو يهجونه ﷺ وهذه التهم تبين

بذاتها أنها نتيجة تفكير نشأ في عصور لاحقة حين اعتقدوا -خلافاً للقرآن الكريم ولسنة الرسول ﷺ- بأن الارتداد عقوبته القتل، أو أن الإساءة إلى رسول الله ﷺ عقوبتها القتل. فالحق أنها أفكار نشأت فيما بعد، ولم تكن موجودة في زمن النبي ﷺ. فما دام ثابتاً من القرآن الكريم أن عقوبة الارتداد ليست القتل، وما دام ثابتاً من القرآن والأسوة الحسنة للنبي الكريم ﷺ أن عقوبة إيذاء النبي ﷺ والإساءة إليه وهجائه ليست القتل، فتبين جلياً أن الذين أمر بقتلهم عند فتح مكة كانت جريمتهم أمراً آخر يقينا. الحق أن سبب قتلهم كان جرائمهم الحربية، كما قال حضرة المصلح الموعود، أو لأنهم قتلوا بعض المسلمين. أما القول بأن سبب قتلهم هو هجو النبي ﷺ أو الإساءة إليه فهذا خطأ.

لقد كتب صاحب السير الشهير العلامة شبلي نعماني من القارة الهندية لدى جرح هذه الروايات الواردة بشأن الكفار الذين قتلوا عند فتح مكة: لقد ذكر أصحاب السير أن النبي ﷺ أتى الأمان لأهل مكة عموماً إلا أنه أمر بقتل عشرة منهم أينما تُقفوا. كان بعضهم قتلوا بعض المسلمين، مثل عبد الله بن خطل ومقيس بن صباة، فقتلا قصاصاً (أي لو سلمنا بقتل هذين الاثني فسبب قتلها أهما قتلا قصاصاً لبعض المسلمين الذين قتلهم)، أما الآخرون فكانت جريمتهم - هذا ما يقال - أنهم كانوا يؤذون النبي ﷺ في مكة، أو يهجونه بشعرهم، وكانت منهم امرأة كانت تغني شعراً فيه هجو النبي ﷺ. هذا ما يقال بشأن هؤلاء.

ثم يقول العلامة شبلي: ولكن هذا القول ليس صحيحاً وفق معيار النقد الذي وضعه المحدثون. هذه الجريمة قد ارتكبتها أهل مكة كلهم (أي لو كان سبب قتل هؤلاء هو الإساءة إلى النبي ﷺ وهجائه وإيذاؤه، فكان المفروض أن يقتل أهل مكة كلهم). من أهل مكة لم يؤذ النبي ﷺ أشد الأذى ما عدا بضعة أشخاص، ومع ذلك بشر النبي ﷺ أهلها وقال: أنتم الطلقاء. أما الذين ذكر قتلهم فكانوا أخفّ جريمة من أهل مكة نسبياً.

هناك رواية في الصحاح الستة عن عائشة الصديقة رضي الله عنها أن النبي ﷺ لم ينتقم لنفسه أبداً. بشأن اليهودية التي أطعمت النبي ﷺ السم في خيبر سئل النبي ﷺ: هل ستقتل؟ فقال ﷺ: "لا". فإذا كانت يهودية من أرض خيبر الكافرة يمكن أن تعيش بسبب العفو من رحمة للعالمين ﷺ رغم إطعامها له السم، فكيف يمكن أن يظل قوم كانوا أخفّ جريمة من هذه اليهودية محرومين من العفو النبوي وهم في الحرم.

إذا لم نكتف بالدراية، فإن هذا الحدث يصبح غير موثوق به تماماً من ناحية الرواية أيضاً. ففي صحيح البخاري لم يذكر سوى قتل ابن خطل، ومن المسلم به عموماً أنه قتل قصاصاً. وإن قتل مقيس كان أيضاً قصاصاً شرعياً. أما الآخرون الذين يُذكر سبب الأمر بقتلهم فلأنهم كانوا قد آذوا النبي ﷺ في زمن ما. فهذه الروايات تنتهي عند ابن إسحاق فقط، أي أن الرواية منقطعة وفقاً لأصول الحديث وهو

غير موثوق بها.

أكثر الروايات موثوقية في هذا الشأن هي رواية وردت في سنن أبي داود، حيث يذكر أن النبي ﷺ قال يوم فتح مكة إنه لا يمكن إعطاء الأمان لأربعة أشخاص. لكن أبا داود كتب بعد نقل هذا الحديث أنه لم يجد السند كما ينبغي. وقد ورد في كتب أخرى أيضاً عن تلك الروايات الواردة في أبي داود أنها ضعيفة. لا شك أن بعض زعماء قريش الذين كانوا رؤساء معارضي الإسلام هربوا من مكة عندما سمعوا بقدوم النبي ﷺ، لكن هذا مجرد تخمين من ابن إسحاق أنهم هربوا لأنه أمر بقتلهم.

باختصار لم يؤمر عند فتح مكة إلا بقتل بضعة نفر وهم الذين قال عنهم الحكم العدل المسيح الموعود ﷺ أنه لم يعاقب إلا بضعة منهم سبق أن صدر من الله تعالى الأمر القاطع بمعاقتهم (أي كانوا ثلاثة أو أربعة أشخاص فقط). فغفر ﷺ لكل عدو ذنبه ما عدا هؤلاء الملعونين منذ الأزل.

فهذه هي حقيقة الأمر لذا إن القول بأنه قُتل عددٌ كذا وكذا من الناس بسبب الهجوم أو الإساءة إلى النبي ﷺ، كله كلام باطل.

الظروف السائدة في العالم واضحة لكم جميعاً، لذا استمروا في الدعاء. وقد قلتُ ذلك من قبل أيضاً عدة مرات وأذكركم باستمرار بشأن الظروف الطارئة، وقد قلت من قبل أيضاً إنه يجب على الذين يقدرّون على ذلك أن يجمعوا في بيوتهم مواداً غذائية تكفيهم لبضعة أشهر. وقد بدأت بعض الحكومات أيضاً تقول لرعيّتها أن يجمعوا مواداً غذائية لثلاثة أشهر. ندعو الله تعالى أن يرحم العالم ويجنبهم أخطار الحرب الخطيرة الوخيمة.

والآن سأذكر بعض المتوفين وسأصلي عليهم صلاة الجنازة بعد صلاة الجمعة. الجنازة الأولى هي للسيدة أمة النسيم نكهت، زوجة راجة عبد المالك. توفيت في الأيام الماضية عن عمر يناهز سبعين عاماً. إنا لله وإنا إليه راجعون. كانت المرحومة موصية. كانت حفيدة مرزا شريف أحمد صاحب ﷺ وكذلك حفيدة من الأم للسيدة نواب أمة الحفيظ بيغم رضي الله تعالى عنها. كانت ابنة العقيد مرزا داود أحمد المحترم. قضت فترة طويلة في أمريكا، حيث خدمت حوالي عشر سنوات كسكرتيرة المال وسكرتيرة الضيافة في لجنة إماء الله.

تقول ابنتها السيدة آمنة: كانت المرحومة تُخرج الصدقة بالتزام وتعطيها بصمت، وكانت تخرجها بانتظام وعلى فترات قريبة وتوزعها على الفقراء. وكانت تساعدهم أيضاً. بنت للفقراء بيوتا وأهدتها لهم.

رأت في المنام ذات ليلة أنها تخلع أساورها وتعطيها الخالة، فأعطتها فوراً تلك الأساور الذهبية. كانت مضيافة جداً. كانت تساعد المحتاجين كثيراً وكان لديها شعور عميق بالتعاطف. كان المزاج في طبيعتها لذا لا يعرفها الناس، لكنني رأيتها تدعو بشدة في الليالي حتى أن أرضية بيتنا كانت تهتز. وكان

كرم الضيافة صفة خاصة فيها. لقد تعلمنا طريقة ذكر الله من أمي، كانت تصلي على النبي ﷺ دائماً، وتقرأ آياتاً من قصائد المسيح الموعود عليه السلام فسمعناها منها مرات كثيرة حتى حفظناها عن ظهر قلب. كانت تحسن معاملة الجيران والأقارب. وقد كتبت ابنتها عائشة أيضاً مثل ذلك.

كتب ابن أختها أنها كانت تساعد المحتاجين بصمت، وكان الله تعالى يخبرها أحياناً عن شخص يحتاج المساعدة. ذات مرة قيل لها إن ابن فلان سيتزوج فساعديه، فأرسلت له فوراً مئة ألف روبية. غفر الله لها ورحمها.

الجنازة الثانية التي سأذكرها هي للمرحوم الحاج يعقوب أحمد بن أبي بكر. كان مدير مدرسة أحمدية وطنية عليا سابقاً وسكرتيراً عاماً وسكرتيراً وطنياً للتبليغ في الجماعة في غانا. توفي في الأيام الماضية عن عمر يناهز الثالثة والستين عاماً في حادث مرور. إنا لله وإنا إليه راجعون. كان المرحوم موصياً. كان متجهاً إلى مدينة مانكسم حين اصطدمت سيارته بشاحنة وأصيب بجروح في الدماغ مما أدى إلى وفاته. إنا لله وإنا إليه راجعون. ترك وراءه زوجتين وأربعة أطفال وأماً وأختاً وأخاً.

بعد التعليم الابتدائي، التحق بكلية تدريب المبشرين الأحمديين في مدينة "سالت باند" وبعد تخرجه فيها عين في خدمة الجماعة في أماكن مختلفة. ثم ألحقته الجماعة بجامعة غانا حيث حصل على شهادة في إدارة الأعمال. وبعد التخرج فيها عرضت عليه وظيفة حكومية لكنه رفضها لأنه كان واقفاً حياته وعمل دائماً بروح الوقف. رغم أنه ذهب إلى مدرسة كانت الحكومة تساعدها لكنها كانت مدرسة الجماعة، أصبح مديراً هناك. وبعد حصوله على التعليم، واصل العمل كمدير في المدارس الأحمديّة في سواجو وكوماسي. ويذكره الناس المحليون هناك، وكذلك رجال الإدارة والموظفون في الحكومة والطلاب. كما قلت من قبل، كان سكرتير التبليغ الوطني ونال شرف الخدمة كقائد التربية في مجلس أنصار الله. كان شخصية علمية، ووفقاً ليكون عضواً في بعض اللجان الكبرى في قسم التعليم. فكان رئيساً لـ CHASS وهو مؤتمر رؤساء المدارس الثانوية المساعدة في غانا. كما كان عضو لجنة KNUST أي جامعة كوامي نكروما للعلوم والتكنولوجيا، وعضواً في مجلس الإدارة في DTEC أي لجنة التعليم الإقليمية في غانا، وعضواً في مجلس الإدارة في WAEC أي مجلس الامتحانات في غرب أفريقيا، كما كان أميناً عاماً لـ ACP وهو الاتحاد الأفريقي للمديرين.

عند وفاته، أعربت رابطة المديرين في جنوب أفريقيا عن حزنها العميق وكتبت أنه كان متمسكاً بالمبادئ وأن قيادته كانت عالية المستوى.

كان يقول دائماً إن سبب نجاحاتي هو الارتباط بالدين والعلاقة بالخلافة الأحمديّة. كان زوجاً وأباً عطوفاً، وكان رمزاً للإيمان والانضباط والعطف لعائلته. كان يكمل دورة تلاوة القرآن الكريم عدة مرات في رمضان، وكان يوجه أهل بيته دائماً نحو العبادة. كانت في طبعه القدرة القيادية العالية، لكن

كان إلى جانب ذلك متواضعا جدا وكان يخدم بأمانة عظيمة. اعتنق الأحمديّة أخوه الأكبر وبعده دخلت عائلتهم الأحمديّة. يكتب أخوه السيد أبو بكر سعيد: أرسله والده إلى كلية تدريب المبشرين في مدينة "سالت باند" حيث حصل على تعليمه وأصبح مبشراً محلياً ثم قطع أشواط التقدم شيئاً فشيئاً حتى نال مكانة جيدة في مجاله على الصعيدين، في الجماعة والحكومة.

أقول: في أثناء إقامتي في غانا كانت بيني وبينه علاقة قريبة وثيقة جداً، علاقة صداقة كبيرة، علاقة محبة كبيرة. كنت دائماً أكلفه بالأعمال المهمة التي كانت تحتاج إلى الثقة. كان المرحوم شخصية جديرة بثقة كبيرة. وبعد أن توليت منصب الخلافة وصلت علاقته بي إلى مستويات الإخلاص العالية. كان يتصف بالغيرة الكبيرة على الجماعة والخلافة.

تقول والدته: إن ابني كان مطيعاً جداً ويعتني بي دائماً منذ الطفولة. وعندما نوى الحج قال لي أن أحج أنا أولاً فجعلني أحج أولاً ثم ذهب هو للحج. لم يتركني وحيدة قط بل اصطحبني معه دائماً. تقول زوجته: كان زوجاً محبباً ومسؤولاً، وأباً عطوفاً لأطفاله وكان ينصحهم دائماً أن يقدموا التضرّيات للجماعة.

يكتب ابنه: لقد غرس فينا الإيمان والأحمديّة على أسس قوية، علّمنا أهمية الارتباط بالدين وأرشدنا في كل خطوة. إن إيمانه منارة نور تنور دروب عائلتنا كلها. كان يوقظنا لصلاة الفجر والتهجد، وفي رمضان كان يهتم بذلك بوجه خاص. كان يصوم كل يوم اثنين وخميس. كان قلبه زاخراً بالتواضع. كان يتعامل مع كل شخص باحترام ولو كان يعمل تحته. كان إنساناً بشوشاً جداً. يقول أخوه سعيد بن أبي بكر: بعد وفاة والدي تولى رعايتي وربّاني واهتم بي مثل والد حقيقي. وجهني نحو الصلوات وسدّ كل حاجاتي.

اللهم اغفر له وارحمه واجعل أولاده أيضاً مثله في الإخلاص والوفاء والتقدم في الحسنات.
